العدد (4085) السنة الخامسة عشرة - الثلاثاء (12) كانون الأول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

إنثربولوجيا الإيقاع

الأصوات أو الظواهر التي أطلقها الإنسان مع الحركات نصوصاً حرّكت يديه ، لأنها وسيلته للعمل والدفاع عن النفس وتوظيفها من أجل التفاهم من الآخر ، في محيطه الكهفي أو وسط الغابة .ولا نستطيع الجزم بأن الإنسان تعلم إطلاق الأصوات ، أو الصرخات من القردة أو الحيوانات التي تعيش معه في الغابة بل هي ما استطاع إليه من وسيلة معتمدة للتعبير عن حالة الخوف والتحذير لحظة الخطر.

ناجح المعموري

العلاقة بين الكائن وجسده وأيضاً مع الآخر .اتضح في تلك اللوحة العديد من النقاط ذات اللون الأقرب للأحمر تشبه التاتو ، اندحمت عند مؤخرة الرجل / البهلوان . خمسة عشر دائرة صغيرة . وفي أعمال أخرى خمس دوائر ، هي الرمزيات السحرية التي كرستها العتبات السحرية في العراق القديم وحضارات الشرق . والرقم خمسة جذر / أصل للرقم السحري للإلهة أنانا / عشتار ، توزعت لوحات وأرقام ، لتعلن خلل مثلما هي لغته التي يفهمها الآخر المتعايش معه ، لذا فهي تنطوي على نداء معروف يستجيب له الآخر في لحظة الخطر أو الجوع وتناول الطعام بمعنى نستطيع القول بأن الصيحات ، أو الصرخات هي الإيقاعات الأولى للكائن البشري ، كرسها في محيطه وأكد عليها في التداول مع الجماعة التي يعيش معها ليلاً ونهاراً حتى اكتسبت بعض الصيحات نظاماً دالاً على حاجة معينة ، اعتمدتها الجماعة وهكذا تدريجياً ، انتقلت الصيحات الحادة والقوية الى أصوات قوية حيناً وهادئة حيناً أخر ، ارتباطاً مع السائد في المحيط وما يستدعيه لكن المهم توصل الإنسان لمعرفة العلاقة بين الصوت وضرب اليدين معاً ، فتعرّف على نوع من الإيقاع ، منح أصواته جمالاً ، أخضعته الضرورات اللحظية والظروف الطبيعية لنوع من التهذيب ، حتى توصل الى تنوعات إيقاع مختلفة بين التي تطلقها المرأة وتلك التي يرددها الرجل . وفي عمل منهما وتنوعاته إيقاعات خاصة معبرة عن نوعية العمل وتكرسه للنوع أو تشارك الاثنين معاً . واعتقد بأن التشارك بالإيقاع الثنائي بين المرأة والرجل ، مرحلة متطورة في التاريخ الإنساني وضرورية جداً للحياة الثنائية بين المرأة والآخر . وفي هذا تكرست المرأة أكثر وأضفت جمالاً وسحراً على أصواتها وأصوات الرجال .التي اختارها الفنان بدقة ، لأن وظيفتها هي المقصودة كلياً حتى يتضح الجسد مغادراً فضاء الكون باتجاه التوتر الجنسي ، وكان الجسد هو الحافظ / المختزن الوحيد لما هو دال على طاقة الفرد وحيوية إمكاناته الجسدية . وهنا تتضح علامات الصراع والاختلاف واضحة بين مفروضات النظام الاجتماعي وتمظهراته على الكائن ومحاولات الجسد الإمساك باللحظة التي ركز عليها نيتشه في السائد من هويات مفروضة ، منزوعة من فضاءات مختلفة ، وصعود ما هو جوهر وسط تنوعات الصراع الثقافي الذي لم يقو عليه الأعلام بقوته سلطته ... واتضحت تلك التشكلات وكأنها متروكات وسائل الإعلام والاتصال ، ليرسم عبرها محاصرة الكائن حتى في أكثر اللحظات خصوصية ، وهي لحظة التفكير بالإدخال بين الاثنين وهنا تتضح أكثر قوة الموقف الفلسفي النيشوي حول طغيان الجسد وفورانه واستحالة الهيمنة عليه كلياً ، حتى في لحظات الإخضاع والهيمنة الغرامشية. لم تكن العلاقة بين الأنا / الآخر / التبادل الاتصالي ، إلا بوصفها عرضاً للاستهلاك والمجانية ، لذا قذفها السعدون مفككة ، لكنها قائمة مفرغة من قيمها ومطرودة من الحاضن الموضوعي كلياً ، وكأنها من حالات الفساد . تخطيطات عبد الكريم السعدون اختزال الإشكالات الأخر واستطاع من تقديمه بخطوط اختصاريه ، ركزت بما تومئ له على تصغير الكائن وطرده من وجوده وإفراغ الثنائية بين مجالين جوهرين من طاقتهما وحرمان الحياة منهما . بسبب التشارك معاً . وخضعت الإيقاعات الصوتية والتصفيق أو الصفير للحاجات كما قلنا ، لان كل ما يؤديه الإنسان في عتبات الحضارة ، يمثل نتاجاً للظروف الموضوعية السائدة ، هي التي ساهم بابتكار ما تجده ملائماً للإنسان ومحيطه . وعلى سبيل المثال ، كانت لحظة اكتشاف الزراعة من قبل المرأة ، عندما غادرت أول مرة كهفها مرحلة جديدة ومثيرة للدهشة ، وحازت من خلالها كثيرا من المعارف البسيطة التي منحتها قدرات جديدة للتكيف مع بيئة صعبة ومعقدة. ولا نستطيع تجاهل تلك الأصوات والصيحات عن مجال اللغة الأول الذي كان هكذا في بدايته وقد أكدت الدراسات الانثربولوجية على ذلك فقد قال العالم : رالف لي بيلز اللغة قديمة قدم أي جانب آخر من الثقافة . أو إنها حتى تسبق الثقافة غير اللغوية . بيد أن المكتشفات الانثربولوجية الحديثة قد ذهبت الى أن جوانب معينة من الثقافة مرتبطة بأناس جاءوا الاسترانيين ، وهم الأشكال السابقة للإنسان المعروف / مقدمة في الانثربولوجيا العامة ج٢ / مطبعة نهضة مصر / ١٩٧٧/ ص٦٣٧//

هذه البدايات المهمة مع بساطتها ، أفضت الى نوع أخر من الفنون واعني به الرقص ، لأن الإيقاع الصوتي والتصفيق والدبكات أشكال على التشارك وأسست قاعدة أولى للفن في التاريخ الإنساني وأيضا لعبت المرأة دوراً في ذلك عندما غادرت الكهف وظلت أعمال الرجال الفنية المعبرة عن الفضاء الخارجي وحيواناته مرسومة ومحفوظة حتى هذه اللحظة في كثير من الكهوف ومنها شنابدر .

الصوت الإيقاعي هو لحظة ابتداء الغناء وتكرس الرقص وساهما معاً كجزء جوهري في طقوس وعبادات دينية ، لكنها من العناصر الفنية المساهمة بنشوء الثقافة (الفنون تنتمي للثقافة ، وأنها تشارك في العمليات الثقافية والتغير الثقافي .... ووظائف الفنون والمواقف إزاء الفن والفنان ، تعتبر جميعاً ثقافية في طبيعتها / ن . م / ص٦٩٥//

الاتصال أكثر العناصر وضوحاً مثل أشكال الفن المتضمنة والمعبرة عن أشكال الانفعال النفسي ، فهي تنقل أكثر مما حاصل مع الأفكار ، وخاصة من خلال الموسيقى والرقص والشعر وكثير من أشكال التصوير . ويجب أن لا ننسى إن من الوظائف الهامة للفنون استنارة المتعة . فالرقص مثلاً في مجتمعنا يكرس الى حد بعيد متعة المشتركين فيه ، إذا ما استثنينا قدراً صغيراً نسبياً من الرقص الاحترافي وقد صار مرتبطاً ارتباطا وثيقاً بجوانب أخرى من ثقافتنا كتلك التي تحكم الظروف الاجتماعية وعمليات التقرب من الجنس الآخر ... وما يزال الرقص واحداً من الفنون القليلة في ثقافتنا التي تشارك فيه أعداد كبيرة / ن .م / ص٦٩٥//

الإيقاع عتبة التعرّف على التوافق والانسجام عند التشارك وهو الموسيقى الصوتية المصاغة من تنوعات الأصوات في الطبيعة وهي كثيرة جداً ، بالإضافة الى أصوات الحيوانات بمعنى أن الإيقاع الأول خلاصة لأصوات وصيحات كثيرة جداً والإيقاع وضع الإنسان على عتبة الفن الخلاق وتأهيل الجماعات للتشارك والاختلاط وتطوير نواتات ما تتم التوصل إليه .

لا يمكن إغفال الأدوار الجوهرية التي لعبها الإيقاع الذي تحدثنا عنه عبر أشكاله الأولى البسيطة ، وحتى تساميه ، لأنه أدى الى ابتكارات فنون عديدة ، أكدت على الإنسان القديم عرف كل شيء وزاول فنونه ، وابتكر ما لم يكن معروفاً من الفنون ولعل الشعر هو أول قوليات الإنسان المستفيدة من الإيقاع ، وهو بدوره أعلن لحظة الأغنية . فلا شعر بدون غناء ، وكلاهما من ابتكارات اللحظات المبكرة . الإنسان الذي قال الشعر ، هو الذي غناه وعزفه أو منحه أصوات بإيقاعات الموسيقى . بعنوان " أول قصيدة مفكرة " ومعها ثلاثة ملاحق بشأن جلجامش قال الشاعر فوزي كريم في الملحق الثاني ، سأضطر تدوينه على الرغم من طوله بسبب أهميته وما انطوى عليه من ملاحظات : جلجامش ، الجليل والطاغية في آن ، يجد في انكيدو والمتحدي مصدر للحب ، والمغامرة ، ثم الخبرة والحكمة . قوتان متعارضتان بصورة واضحة ولكنه تعارض يصبح لدى جلجامش وحده عنصر صراع داخلي . والحبّ يأخذ هنا مدى غريباً معاصراً ، بالرغم من أن الملحمة الأصل تشجع عليه ، ولكن بمقدار العلاقة بين جلجامش وانكيدو وتجيش بالحبّ تمنحه البراءة الطبيعية الأولى خلطة من المعاني ، لا يصح عليه واحد فيها بمفرده . ولكن مورغان الغربي شاء ، تحت تأثير شيوع ظاهرة الحبّ المثلي الغربي كما تشيع الموضة ، والذي لا يخلو من عنصر استثاري أعلامي ، أن يقتحم مشهداً حسياً موارباً ، حين يجعل جلجامش ، في أخر حفل انتصارهما على وحش غابة الأرز ، يأخذ بيد انكيدو الفتي الى غرفة نومه ، التي كشف عبر ستار .استيقظت هذه الموضوعة المهمة في ذاكرتي وانشغلت بها كثيراً وقررت العودة لملاحظاتي وكتابتها ما دامت " المثلية بين الاثنين " شبه عامة وحتماً التباين والاختلاف في القراءة والفحص والدلائل النصيّة الواضحة والأخرى الكاشفة عن المسكوت عنه في النص هي التي يعول عليها . وهذا المقال هو المفتاح الذي سيقودني بعيداً نحو الملحمة ومن جديد .

تلويحة المدى

▪ شاكر لعيبي

"أسْرَع من الخذروف": بسيكولوجيا السرعة

العصر الرقميّ، وزمن السويشال ميديا هو زمن (مديح السرعة). يرتبط الأمر، في النظام الرأسمالي بموضوع الإنتاجية: القدرة على إنتاج أكبر قدر ممكن من السلع الربحية أو إنتاج أكبر قدر من الشغل المكتبيّ والعلائقيّ بأقصر وقت ممكن، لذا فهي امتداح حصريّ تقريباً (للفتوّة) القادرة عضلياً على ذلك، واستبعاد، مُضْمَر أو صريح، لكل فترة عمرية أخرى لا قدرة لها على تحمّل سرعة مثلها. ثم يرتبط بذلك توسُّعاً مديح كل سرعة أخرى: اختصار المسافات بأقلّ وقت، حتى لو تطلّب الأمر مغامرات جسدية خطيرة، ثم نشوء أنواع جديدة من الرياضة تقوم على المبدأ نفسه. يظهر في السويشيال ميديا المبدأ في (تصفّح) أكبر قدر ممكن من المواضيع بأقل زمن ممكن، غالباً على حساب التأمُّل الجاد بفحوى هذه المواضيع.

مديح السرعة خلق في العصر الراهن (خرافة السرعة) التي يُقاس الكائن الآدميّ وفقها، فهل جميع الكائنات تمتلك إيقاعاً متسارعاً، وكيف يُفسَّر الكائن صاحب الإيقاع مفرط السرعة، مقابل الآخر بطيء الإيقاع، وهل ثمة مجال حقاً للمفاضلة؟

في الثقافة العربية الكلاسيكية تقرأ في كتاب (مجمع الأمثال) للميدانيّ المثل القائل "أسرع من الخُذْرُوف" الذي يتركز حصرياً على فكرة الإيقاع السريع، و"الخُذْرُوف حجر يثقب وسطه فيجعل فيه خيط يلعب بها الصبيان إذا مدوا الخيط درّ دريراً. قال شاعر يصف الفرس (وكأنهن أجادل وكأنه – خذروف يرمعة بكف غلام). الخَرّارَة هو خُذْرُوف الصّبي التي يُديرُها، وخَرّارَة هو حكاية صوته "خَرْخَر". انتهى شرح الميداني. وفي لسان العرب الخُذْرُوف السريعُ المشي، وقيلَ السّريعُ في جَرْيِه، والخُذْرُوف عُوَيْدٌ مَشْقُوقٌ في وسطه يُشَدُّ بخيط ويُمَدّ فيُسْمع له حَنِينٌ، وهوَ الذي يسمى الخَرّارة، وتحت مادة رمع أن اليَرْمَع هي الخَرّارة التي يَلْعَبُ بها الصّبيان وهي الخُذْروف، ويُوصَف به الفرس لسُرْعَته، تقول هو يُخَذْرِف بقوائمه. وأنت ترى أن المثل وتفسيره يشير إلى سرعة مفرطة، لا بد ان لها دلالة ما. يتذكر بعضنا أننا كنا نلعب بالخذروف الخشبيّ، وفي العراق يسمى (المِصْراع)، إذا لم تخنّي الذاكرة، وكان خشبياً كمثريّ الشكل.

في التحليل النفسيّ الفرويديّ، قد تشير السرعة إلى هروب الافكار. وقد لوحظ أن الأحلام تمتاز بسرعتها الخارقة، وأن فيها التياثٌ لمفهوم الزمن، رغم أن هناك من لا يوافق على ذلك. لكن عُرف بين المحللين النفسيين من يقول إن سرعة اللاوعي مماثلة لسرعة سَهْم.

في استخدام أفعال غزلية فرنسية شائعة شعبياً (لأنها ليست عامية بالضرورة وتبدو عادية للوهلة الأولى)، تبدو فكرة السرعة مرتبطة بالغزل والإيروتيكا، مثل يغازل draguer وهو في الأصل يجرف الوحل جرفاً أو يكري مجرى مائياً، والفعل "اصطاد امرأة"chasser وهو في الأصل صاد واصطاد حيواناً عبر مطاردة سريعة، والفعل كَوّنَ عَلاقَة غَرَاميّة مُؤَقّتَة مَعَ امرأة flirter الذي يعني في الأصل داعب وتدلل وأسرف. وأخيرا الفعل يتعرّض لفتاة أو يجري خلفها courir وهو في الأصل يركض، يجري، يعدو، يهرول.

ماهو جوهر دلالة هذه الأفعال؟ جوهرها مفهوم السرعة: الاصطياد عبر المطاردة والجرف والإسراف والركض. كأنها تفترض أن الغواية الجنسية تتطلب السرعة. اللاوعي يدفع المغازل لسرعة الفعل قبل الوعي والتفكير. الغواية تشتغل بإيقاع سريع، وكل ذلك لتحقيق المطمور في هذه الأفعال: اقتناص الفعل الجنسيّ.

وفي تقديرنا فأن أخطر تجليات مفهوم (السرعة) يقبع في عملية "التصفُّح" القائمة في لاوعي كثير من مستخدمي السويشيال ميديا العربية، لأنه يستخف أيما استخفاف بعملية القراءة، لهدف ليس من الأهداف المشار إليها أعلاه.

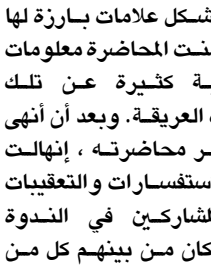

في التحليل النفسيّ الفرويديّ، قد تشير السرعة إلى هروب الافكار. وقد لوحظ أن الأحلام تمتاز بسرعتها الخارقة، وأن فيها التياثٌ لمفهوم الزمن.

الوائلي يعالج مسببات الجهل المركّب بمنتدى الحوارالإنساني في مانشستر

مانشستر / محسن الذهبي

ضمن الفعاليات الثقافية الشهرية ل (منتدى الحوار الإنساني في مانشستر) وبتقديم من الاستاذ (جمال فؤاد جميل) قدم الصحفي والكاتب العراقي حيدر محمد الوائلي محاضرة حول موضوع الجهل المركب وأثره في المجتمعات .

بدأ الكاتب بتعريف العلم اولاً من حيث هو: (إدراك الشيء بحقيقته). وانشقاق الفلسفة عن العلم تاريخيا فصارت الفلسفة أوسع وبقى العلم تخصصياً. وعرف الفلسلفة بأنها (حب الحكمة وطلب المعرفة والبحث عن الحقيقة) فالعالم ينبغي ذكر تخصصه بينما المفكرَ والمثقف هو أعم وأوسع .

ثم عرف الجهل المركب بأنه أسوأ أنواع الجهل، لانه اعْتِقَاد الجَازِمُ بِمَا لاَ يَتّفِقُ مَعَ الحَقِيقَةَ ، إذْ يَعْتَقِدُ الرّجُلُ عَارِفاً عِلْماً وَهُوَ عَكْسُ ذَلِكَ. وهوَ تعبيرٌ أطلقَ على من لا يسلّم بجهله ، ويدّعي ما لا يعلم .فصاحب الجهل المركب دائماً تراه مخالفاً لكل علم لا يعرف عنه شيئاً ، يهاجم بدون علم وبلا دليل ولا قرينة ، ويكيل الاتهامات للآخر . وتطرق لأسباب الجهل المركب السايكولوجية والنفسية كالحقد الفردي والطبقي والطائفي المغلف بالانحياز الاعمى والمسبق لفكرة ما أو عقيدة معينة وإمساك العداوة في القلب . فلا فكر للناس قبل أن يتخلوا عن أحقادهم وكراهيتهم وغضبهم المسبق عند التفكير بالإيمان والتفكير والعقيدة والبحث عن الحقيقة. والعناد العقلي في التمادي في الخطأ والغيّ والتصلب في الرأي والتعنت بإمتلاك الحقيقة المطلقة ، بما يؤدي الى إيجاد نزعة عدوانية اتجاه الآخر وسلوك سلبي و ما ينتج من مفاسد اجتماعية وانسانية وكراهية للتغيير ومحاربة اي دعوة للتجديد الفكري لتصبح وراثة الأفكار والمعتقدات كعبادة الأصنام.

ووقف الباحث طويلا أمام مسببات ظهور الفكر التكفيري والجماعات الظلامية وعودة المجتمعات من الفكر الحضري والعودة لتقديس الجهل وتأثير ذلك على الفكر الجمعي في خلق مجتمع أناني يعشق التبرير ولا يعترف بالاخطاء ، وقد طرح الباحث أمثلة واقعية من حياتنا اليومية وربطها بالسلوك الفردي والجمعي .

وقد تفاعل الحضور في طرح افكار تضيء معالجة سلوكيات الفرد والمجتمع وبناء الانسان الفاعل المغير في مسيرة المجتمع ، وبناء إنسان واع محصن من الانجراف وراء فكر الجهل والتخلف .

عادل العرداوي في مركز أوج بغداد

محاضرة تراثية عن محلات بغداد - الرصافة القديمة في ١٠٠ عام مضت

متابعة المدى

ضيّف مركز أوج بغداد الثقافي خلال ندوة ثقافية للباحث عادل العرداوي ، في محاضرة مشوقة أمتعت الحضور وأغنتهم بمعلومات من التاريخ القديم الحديث والمعاصر تحدث فيها عن محلات بغداد القديمة خلال ١٠٠ عام مضى ، بحضور حشد من المثقفين والمهتمين بالشان التراثي والتاريخي .

وتطرق الباحث العرداوي لتعريف تسمية بغداد الحالية ، حيث بعض المصادر تشير إلى إنها تسمية فارسية وأخرى تؤكد انها ارامية واكدية وبابلية وتعني فيما تعنيه بستان الرب او بستان الآلهة وبستان الشيطان ، وايضا بغ تعني بستان وداد اسم شخص اي صاحب البستان وهكذا ترد تفسيرات اخرى لامجال لذكرها.وحدد المحاضر تلك المحلات ، البغدادية القديمة الواقعة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ، في قلب الرصافة التي كانت مسورة بسور محكم مشيد بالآجر يبدأ مساره من الباب الشرقي وتحديدا من بداية كورنيش ابو نواس مرورا بحديقة الأمة ومدخل شارع الشيخ عمر وكمب الأرمن وباب الطلسم ومسار السدة الترابية الشرقية ، التي كانت قائمة الى ماقبل نصف قرن وأزيلت بعدها لتصبح مساراً لشارع محمد بن القاسم للمرور السريع مرورا بالباب الوسطاني آخر ابواب بغداد العباسية ، الذي مازال قائما لحد الآن مقابل مقبرة الشيخ عمر ومن ثم ينحرف يساراً باتجاه بناية دائرة تجارة الحبوب وبناية مطبعة الحكومة القديمة والسير باتجاه محلة السور في الباب المعظم ومن ثم الى سياج بناية وزارة الدفاع حيث مازالت قطعة صغيرة من ذلك السور ظاهرة للعيان خلف جدار قاعة الشعب ومجاور لجدار جامع الاوزبك .

واستعرض الباحث أيضاً ، مواقع تلك المحلات وأسباب تسمياتها التي رسخت في أذهان وذاكرة الناس عبر الأجيال وأورد حكاية اسم كل محلة وأهم الشواخص المعمارية والأثرية والحكومية القائمة فيها وتشكل علامات بارزة لها ، وتضمنت المحاضرة معلومات تفصيلية كثيرة عن تلك المحلات العريقة. وبعد أن أنهى المحاضر محاضرته ، إنهالت عليه الاستفسارات والتعقيبات من المشاركين في الندوة الذين كان من بينهم كل من الدكتور رائد العاملي وفيصل عبدالمجيد محمود القرغولي عميد مركز أوج بغداد الثقافي وتمارا الداغستاني والصحفي الرياضي علي رياح والصحفي محمد إسماعيل ، ومديرة مركز أوج بغداد الثقافي مينا أمير الحلو ، والدكتور شفيق المهدي مدير عام دائرة الفنون في وزارة الثقافة والآثار والسياحة وحسن العبادي.